Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلا مجال ، والحال كذلك ، إلى التقليد[٣٦] . وهنا تبرز أهميّة بالغة لمنحى الفكر الأدبي عند إسحق ؛ فهو يربط فعل النهضة بمبدأ الإبداع لا بضرورة التقليد . النهضة عنده ، كما يبدو ، لم تعد في إحياء النماذج القديمة ؛ إنها باتجاه إبداع نماذج العصر من تكوّن العصر نفسه . إضافة إلى هذا ، فإسحق ، من خلال تصوّره لمفهوم الكتابة كان يُؤسّسُ في النغم الفكري النهضوي العربي لمقولة ارتباط فعل الكتابة بالفكرة المعبرة عن هذا الفعل .

المؤسف في تجربة أديب إسحق ، أنه ما أن يلبث الرجل أن يخرج من هذه الصفات العامة للرؤية الكتابية ، حتى يدخل في تنويعات « نغميّة » لا تجد « قرارها » المناسب في تطلعاته الرؤيوية . فهو ، على سبيل المثال ، يكتب عن وحدة الموضوع وتلاحم الأجزاء في الفعل الكتابي ، لكنه لا يلبث أن يذكر ما يسميه الاستقلال التدريجي لهذه الأجزاء[٣٧] . في هذا الموقف قد يجد قارىء إسحق إبهاماً في فكر الرجل ، خاصة إذا ما قرأه ضمن ثقافة المرحلة القائمة ، في جوانب كثيرة ، على الوصف أكثر منها على التحليل . ولعل قارىء إسحق ، في ذلك العهد ، قد تساءل كيف يجمع الكاتب بين تلاحم الأجزاء وبين استقلالها التدريجي ؛ إذ إنه من الممكن لهذا القارىء أن يفهم في الاستقلال التدريجي للأجزاء المتلاحمة طموحاً لدى كل جزء في قيامه منفرداً عن الآخرين . ولعل إسحق ، ضمن هذا المفهوم العام لعملية الكتابة ، كان يقصد بالاستقلال التدريجي للأجزاء مبدأ الاختلاف ضمن الوحدة ؛ لكنه ما كتب ليوضّح هذا الأمر على الإطلاق ؛ بل تركه غامضاً مبهماً مما يؤدي إلى تعثّر مسار التوجيه الذي أراده هو للفعل الكتابي .

من جهة ثانية ، فإنّ أديب إسحق يرى بأنّ الكتابة قد لا تحتاج إلى مثل هذه القواعد . هناك ، كما يقول ، كتابة تبلغ حدّ العالمية ، لا تحتاج إلى قواعد[٣٨] . لكنه ، وفي هذا المجال أيضاً ، ينزلق في إيقاعه الفكري إلى بقعة ضوئية بلا لون ؛ فيترك هذا التعبير عن العالمية خالياً من الصفات أو المقومات . تبقى الفكرة عنده هادرة لكن دونما حيّزٍ أو مجالِ فِعْل ، تبقى كأنّها مجرّد هيولى لم تتحقق .